ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Rese. Haider Nazim Mayos

Wasit University, College of Education

Prof. Dr. Reda Hadi
AlMustansiriyaUniversity
College of Education

Lect. Dr. Hamid Reda Motahhari
Associate professor at the Higher Institute of Islamic Sciences and Culture
Email:
heydar5566778899@gmail.com
ridha452003@yahoo.es
h.motahari@isca.ac.ir

Keywords:

doctrine, Imam Al-Zahiri, Al-Andalus, Al-Maliki.

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 15.OCT.2023

Accepted 5.DEC.2023

Published 10.FEB.2024

The Zahiri school of thought in Andalusia

A B S T R A C T

In this research, we dealt with the study of (the Zahiri school of thought in Andalusia), which is one of the important topics that deals with the history of some of the Islamic sects that entered Andalusia, especially at the beginning of Islamic rule in Spain. In it, I referred to the life of the founder of the Zahiri school of thought, how the school entered, and what were the factors that helped in its spread and the most important factors. The personalities who contributed to spreading the doctrine in Andalusia and then explained the reasons that led to the end of the doctrine. The reasons varied between religious and social, and thus led to people's reluctance to adopt the Zahiri doctrine as their doctrine.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol54.Iss1.3714

المذهب الظاهري في الأندلس

الباحث : حيدر ناظم مايوس **المساعد الثاني أ.م.د. رضا هادي الشمري**
طالب دكتوراه /جامعة واسط/ كلية التربية **الجامعة المستنصرية/ كلية التربية**

المشرف الأول: م.د. حميد رضا مطهري

استاذ مشارك في المعهد العالي للعلوم والثقافة الاسلامية

المستخلص:

تناولنا في هذا البحث دراسة (المذهب الظاهري في الأندلس) وهو من الموضوعات المهمة التي تعالج تأريخ بعض المذاهب الإسلامية التي دخلت إلى الاندلس لاسيما في بداية الحكم الاسلامي لإسبانيا، وأشرت فيه إلى حياة مؤسس المذهب الظاهري وكيفية دخول المذهب وما هي العوامل التي ساعدت على انتشاره وأهم الشخصيات التي ساهمت في نشر المذهب في الاندلس ومن ثم وضحت الأسباب التي أدت إلى نهاية المذهب وتباينت الأسباب بين الدينية والاجتماعية، وبالتالي أدت إلى عزوف الناس عن اتخاذ المذهب الظاهري مذهبًا لها.

الكلمات المفتاحية: مذهب ، الامام الظاهري ، الاندلس ، المالكي.

المقدمة:

أما بعد فقد إنماز التاريخ الاسلامي بصورة عامة بكثرة الموضوعات التأريخية التي تحتاج إلى من يتناولها ويبين خصائصها ويكتشف اسرارها بالدراسة والتحليل فوقع اختيارنا على موضوع "المذهب الظاهري في الأندلس" إذ أنهُ من الموضوعات المهمة التي تعالج تاريخ المذاهب الاسلامية في الاندلس وأسباب انتقالها من المشرق إلى المغرب وانحسارها في مدن دون غيرها وكيفية نهايتها والاسباب التي عملت في انقراضها.

نشط القياس في المائة الثانية للهجرة فأصبح احد مصادر التشريع الاسلامي الذي جعله الكثير بعد كتاب الله والسنة النبوية، ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به وهم الظاهرية وقد عرفوا بهذا الاسم لتمسكهم الدقيق بظاهر النصوص من الكتاب والسنة واجماع الصحابة، ومؤسس هذا المذهب هو داوود بن علي بن خلف الأصبهاني الكوفي المولد والمتوفي سنة (٢٧٠هـ/ ٨٨٣م)، وقد أصبح للمذهب الظاهري شأن في المشرق الاسلامي حتى انتقل إلى بلاد الاندلس منتصف القرن الثالث الهجري أيام حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن (١٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) وكان أول من ادخل المذهب للأندلس هو عبدالله بن محمد بن قاسم القرطبي (ت٢٧٢هـ/ ٨٨٥م)، وقد ساعدت عدة عوامل على انتشار المذهب الظاهري في الأندلس أولها رحيل العديد من العلماء الاندلسيين وطلاب العلم إلى المشرق ولقائهم مع داوود الظاهري وعند رجوعهم أصبح لهم دور بارز في نشر المذهب إلا أنهُ بقي محصورًا ولم يفشِ بصورة كبيرة لغلبة المذهب المالكي على البلاد لاسيما في عصري الامارة والخلافة واستمر الامر على هذا الحال حتى ظهر الفقيه المعروف منذر بن سعيد البلوطي (ت٣٥٥هـ) إذ يعتبر من أبرز فقهاء الظاهرية في الأندلس ثم جاء بعده الفقيه الذائع الصيت أبن حزم الاندلسي (ت٤٥٦هـ) الذي تبنى المذهب فنقحهُ ونهجهُ وجادل عنهُ ووضع الكتب في بسطهِ.

وقد اقتضت الضرورة أن يكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة، تناولت في المبحث الأول الامام داوود الظاهري نسبهُ ومولدهُ وحياته وكيفية دخول المذهب إلى الأندلس.

أما المبحث الثاني فقد ركزت الحديث فيه عن دور الفقهاء الظاهرية في نشر المذهب ثم جاءت خاتمة البحث لتشمل أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

أولاً: داوّد الظاهري (نسبه، مولده، ونشأتهُ)

داوود بن علي بن خلف الأصبهاني، الكوفي المولد المكنى أبو سليمان المعروف بداوود الظاهري(ابن النديم، د.ت: ٢٧١) (السمعاني، د.ت: ٢٩٦) (الذهبي، ١٣٣٢هـ: ١٣٦) (الزركلي، ٢٠٠٢: ٣٣٣) .

اتفق المؤرخون على مكان ولادته في الكوفة (الشيرازي، د.ت: ٩٢) (الذهبي، ١٣٣٢هـ: ١٣٦) لكنهم اختلفوا في تاريخ ميلاده، فالخطيب البغدادي ذكر أنهُ ولد سنة مائتين للهجرة و وافقهُ على ذلك الذهبي، بينما نجد في كتاب السمعاني أن مولده كان في سنة احدى ومائتين(البغدادي، د.ت: ٣٧٥) (السمعاني، د.ت: ٢٩٦) (الذهبي، ١٣٣٢هـ: ٩٨) .

وقد أجمع كل من ترجم لهُ أن نسبهُ إلى مدينة أصبهان: مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن يسرفون في وصف عظمتها حتى يتجاوزوا حد الاقتصاد إلى الاسراف وهي اسم أقليم بأسره قيل سميت بأصبهان بن فلوج بن لنطي بن يونان بن يافث، وقيل سميت أصبهان بن فلوج بن سام بن نوح عليه السلام وقيل أصبهان اسم مركب لأن الأصب بلسان الفرس هو البلد والهان اسم الفارس وكان يقال بلاد الفرسان (الحموي، ١٩٧٧: ٢٠٧) من أهل قاشان: قاشان بالشين المعجمة وأخره نون مدينة قرب أصبهان تذكر مع قم أهلها كلهم شيعة أمامية (الحموي، ١٩٧٧: ٢٩٦) ، فقال عنهُ السمعاني "أبو سليمان داوود بن علي بن خلف الفقيه الظاهري أصبهاني الأصل سكن بغداد وكان من أهل كاشان وتوفي ودفن في منطقة الشونيزية: الشونيزية: بالضم ثم السكون ثم نون مكسورة وهي مقبرة ببغداد في الجانب الغربي، دفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين (الحموي، ١٩٧٧: ٣٧٤) في شهر رمضان سنة سبعين ومائتين(السمعاني، د.ت: ٢٩٦) .

ولم أجد في المراجع شيئًا يذكر عن أسرته وكل ما ذكر عنهُ أنهُ يُنسب إلى عائلة من كاشان وكان أبوه يعمل كاتبًا للقاضي عبدالله بن خالد الكوفي قاضي مدينة أصبهان أيام حكم المأمون العباسي (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م) (السمعاني، د.ت: ٢٩٨) وقد أنفرد السمعاني بذكر هذه الرواية ولم أجدها عند غيره.

نشأ الظاهري في بغداد في القرن الثالث الهجري وكانت عاصمة الخلافة العباسية من أبرز مراكز العلم والثقافة وأوسعها علمًا وأكثرها علماء وتزعمت المدن الثلاث في العراق بغداد الكوفة والبصرة في زيادة النشاط الأدبي العلمي الثقافي وكان داوود الظاهري قد رحل إليها فالتقى بالعلماء مما ساهم كثيرًا في تكوين شخصيته ونضوجها علمًا إذ كانت الدراسات الفقهية في أوج عظمتها في العراق وبوجود المذاهب الأربعة آنذاك، فكان لاجتماع هذه العوامل في المرحلة المبكرة من حياة الظاهري قد دفعتهُ وساعدتهُ لطلب العلم والمعرفة لاسيما بعد لقائهُ في بغداد إبراهيم بن خالد المكنى أبي ثور وكان حينها فقيه أهل بغداد وعلى المذهب الشافعي والذي أحدث لنفسه مذهبًا أشتقهُ من المذهب الشافعي فألف الكثير من الكتب والمصنفات في الفقه والحديث مثل كتاب الطهارة وكتاب الصلاة وكتاب المناسك وقد لازمهُ الظاهري وأخذ عنهُ الفقه(ابن النديم، د.ت: ٢٦٥) (ابن خلكان، د.ت: ٢٦) (الزركلي، ٢٠٠٢: ٣٧) (حيدر، د.ت: ١٦٢) (أبو عيد، د.ت: ٥٩).

ولم يدرس الظاهري للشافعي مباشرة فقد كان عمره منذ وفاة الشافعي سنتين لكنهُ كان محبًا لهُ كثير التعصب حتى نقل السبكي بأن الظاهري أول من صنف كتابًا في مناقب الشافعي(الشيرازي، ١٩٧٠: ٣٤٣) .

ثم بعد ذلك رحل إلى نيسابور بعد أخذ الفقه الشافعي من أبي ثور والتقى في نيسابور أسحاق بن راهويه: اسحاق بن ابراهيم بن مخلد المكنى أبو يعقوب شيخ المشرق وسيد الحفاظ نزيل نيسابور مولده سنة احدى وستين ومائة سمع من

الكثير وارتحل سنة أربع وثمانين وكتب عن خلق من اتباع التابعين الكثير امثال محمد بن اسماعيل البخاري وحدث عنهُ ومسلم بن الحجاج في صحيحها وأبو داوود والنسائي في سننهما توفي سنة (٢٣٨هـ/ ٨٥٢م). (الذهبي، ١٩٨١: ٣٥٨) (ابن خلكان، ١٩٩٤: ٢٥٥-٢٥٧) (الذهبي، ١٣٣٢هـ: ١٥٦) إذ كان في وقتها أحد أبرز اعلام الفقه أخذ منهُ كتابيه المسند والتفسير حتى اشتد عوده في نيسابور وبرزت شخصيته العلمية وأصبح ذا فكر منظم ومنهج واضح وأصبحت لديه الجرأة فيما يعتقد حتى خالف في الكثير من المسائل أسحاق بن راهويه ثم رجع من نيسابور إلى بغداد وحاول اللقاء مع أحمد بن حنبل إلا أن الأخير رفض ذلك بقوله "أن هذا زعم أن القرآن محدث فلا يقربني"(الذهبي، ١٣٣٢هـ: ١٣٧) (ابو عبية، ٢٠٠٤: ١٥٦) .

عمل داوود الظاهري على نشر مذهبه فكان يعقد مجالس للمناظرة والفتوى والتدريس ويدعو إلى فكره واصوله في الاستنباط وألف كتب فقهية دونّ فيها آرائه المذهبية مثل كتاب أبطال التقليد وابطال القياس وكتاب الافصاح وكتاب الإيضاح وكتاب الاجماع والاصول وغيرها من المصنفات فكان فقهه يأخذ بظاهر اللفظ في الأوامر والنواهي لا يؤولها ولا يبعد عنها فالنص عنده هو المحور والحجة مقصورة عليه وهو بذلك اختلف مع المذاهب الأربعة فهؤلاء يعتمدون في استنباطهم على الكتاب والسنة والاجماع والرأي ثم يختلفون في الرأي بين موسع وبين مضيق فالشافعي يقصر الرأي على القياس في حين أن أبو حنيفة يفتح باب للاستحسان والعرف بجوار القياس، أما مالك بن أنس فيفتح الباب للمصالح المرسلة وسائر الذرائع وهو بذلك يفتح للفقه معينًا لا ينضب، أما أحمد بن حنبل فهو قريب من رأي مالك (حسان، د.ت: ٦٨-٦٩) .

ثم بعد ذلك أصبح أبو بكر محمد: يكنى أبا بكر كان فقهيًا اديبًا شاعرًا فاضلًا بارعًا اخباريًا على مذهب أبيه داوود لهُ كتب في الادب والشعر ولهُ من الكتب الفقهية كتاب الأعذار وكتاب الانذار وكتاب الوصول إلى معرفة الأصول، وكتاب الايجاز وكتاب الرد على ابن شرشير وكتاب الانتصار وكتاب الرد على أبي عيسى الضرير. (ابن النديم، د.ت: ١٧٢) بن داوود الظاهري الولد الأكبر من اكثر تلامذته ساهم في نشر مذهب والده والدعوة إليه حتى جلس للفتوى في حلقة والده بعد وفاته وذكر أنهُ كان في مجلسه أربعمائة تلميذ صاحب محبرة، وكانت هذه الآراء الظاهرية غير مقبولة في اوساط المجتمع ومن قبل بقية المذاهب لذلك تصدى لها الكثير من الفقهاء أبرزهم القاضي أبن سريج: ابن سريج: أحمد بن عمر بن سريج المكنى أبو العباس من فقهاء الشافعية، لهُ من الكتب الرد على محمد بن الحسن وكتاب مختصر الفقه وكتاب الرد على عيسى بن أبان وكتاب التقريب بين المزني والشافعي، توفي سنة خمس وثلاثمائة . (ابن النديم، د.ت: ٢٦٦) الذي وضع كتابًا عنوانه الرد على المخالفين(ابو عبية، ٢٠٠٤: ١٥٦-١٥٧) (أبو عيد، ٢٠١٧: ٦٠-٦١) .

ثم انتهت الرياسة للمذهب الظاهري بعد ولده أبي بكر إلى أحد تلامذته أبو الحسن بن مفلس عبدالله بن أحمد بن محمد (ت٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) الذي قال عنهُ ابن النديم "كان فاضلًا عالمًا وكانت لهُ تصانيف في نصرة المذهب الظاهري منها كتاب الموضح في الفقه وكتاب الولاء وكتاب أحكام القرآن وكتاب الطلاق وكتاب المنجح(ابن النديم، د.ت: ٢٧٣) (ابو عبية، ٢٠٠٤: ١٥٦-١٥٧) .

دخول المذهب الظاهري إلى الأندلس

انتقل المذهب الظاهري إلى الأندلس في منتصف القرن الثالث الهجري أيام حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن (١٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) من خلال الرحلات العلمية من بلاد الأندلس إلى المشرق لاسيما مدينة بغداد التي كانت آنذاك تزدهر بشتى العلوم وبكثرة العلماء والفقهاء(محمود، ١٩٩٠: ٣٢) .

وكان أول من ادخل المذهب الظاهري للأندلس وعمل على نشر آرائه ومبادئه عبد الله بن محمد بن قاسم: عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال بن يزيد بن عمران القيسي المكنى أبا محمد، رحل إلى العراق ولقي أبا سليمان داوود الظاهري ولقي بن محمد وحدث عنهُ ومحمد بن عبد الملك بن أيمن وقاسم بن أصبغ ومحمد بن قاسم وغيرهم كثيرون، توفي سنة اثنتين وسبعين ومائتين للهجرة (ابن الفرضي، د.ت: ٢٥٧-٢٥٨) (الضبي، ١٩٨٩: ٤٥٣-٤٥٤) القرطبي المكنى أبو محمد (ت٢٧٢هـ/ ٨٨٥م) الذي قام برحلة إلى العراق والتقى فيها مع داوود الظاهري وأخذ منهُ، وذكر ابن الفرضي أن عبدالله كان مالكيًا إلا أن علم داوود غلب عليه حتى كتب عنهُ كتبه بخط يده مثل كتاب الإيضاح وأبطال القياس وغيرها من الكتب(ابن الفرضي، د.ت: ٢٥٧-٢٥٨) (ابو عبية، ٢٠٠٤: ٥٥٨) .

وقد ساعدت عدة عوامل في انتشار المذهب الظاهري في الأندلس أولها رحيل العديد من علماء الأندلس وطلاب العلم إلى المشرق ولقاء داوود الظاهري وعند رجوعهم أصبح لهم دور بارز في نشر المذهب بعد أن أصبحوا ظاهريين وذلك من خلال تأسيس المدرسة الظاهرية وأصبح لها طلاب كُثر وأتباع جدد، فضلًا عن مؤلفات الظاهري التي شملت على آثار وُسنن استند عليها في بناء فقهه وجعلت الكثير من طلبة العلم والمعرفة يأخذونها إلى العديد من المدن، إضافة إلى ذلك كان لكثرة القائلين بالقياس لاسيما في المشرق قد دفع إلى ظهور طائفة تتمسك بالنصوص وتعتقد أن كُل من يكون على القياس فهو ضال عن الدين وكثرة وضع الحديث دفع إلى البحث عن الأحاديث وتدقيقها والاعتناء بها (أبو زهرة، ١٩٩٦: ٥٣٦-٥٣٧) (بو عقادة، ٢٠٠٣م: ٢٦٢-٢٦٥) (المشايخي، ٢٠١٩: ٨٥-٨٦) .

دور الفقهاء في نشر المذهب الظاهري:

للفقهاء الظاهرية دور مهم في نشر المذهب الظاهري في الأندلس، فكانت بدايته كما أشرنا مسبقًا على يد عبدالله بن محمد القرطبي، إلا أن بعدهُ لم تجد الدعوة الظاهرية من يقوم بها حتى جاء فقيه عالم أخر لينهض بالمذهب الظاهري من جديد، وهو قاض الجماعة منذر بن سعيد بن عبدالله البلوطي المكنى أبا الحكم الذي رحل حاجًا سنة ثمان وثلاث مائة للهجرة تلقى في رحلته أصول المذهب الظاهري وعند عودته للأندلس تولى عدة مناصب منها قضاء مدينة ماردة وما والاها من مدن، ثم تولى الثغور الشرقية ثم قاضي الجماعة في قرطبة وبدأ بأنكار تقليد المالكيين واجتهد في إذاعة أصول المذهب الظاهري والدعوة إلى ترك التقليد وفتح باب الاجتهاد لكل واحد وهي من أصول المذهب الظاهري، إذ كان لداوود الظاهري كتاب اسمهُ إبطال التقليد والذي كان أحد أسباب معارضة وأنكار المذهب الظاهري من بقية المذاهب الأخرى(الخشني، ١٩٨٩: ٢٣٧) (ابن الفرضي، ١٩٦٦: ٥٥٥-٥٥٧) (الحميدي، ١٩٦٦: ٥٥٥-٥٥٧) (الضبي، ١٩٨٩: ٦٢٠) (المقري، ١٩٨٨: ٣٢٣) (ابو عبية، ٢٠٠٤: ٥٥٩) .

عُرف البلوطي ببلاغتهِ فقد كان أديبًا فقهيًا عالمًا حسن البيان ثابت الحجة وصفه الخشني بأنهُ "صلبًا صارمًا غير هياب ولا جبان"(الخشني، ١٩٨٩: ٢٣٧) .

وعلى الرغم من أنهُ على المذهب الظاهري إلا أن أبن حزم أشار بأنهُ اعتزالي بقوله "وكان أبوهم قاضي القضاة المنذر بن سعيد متهمًا بمذهب الاعتزال" ثم يصفه بأنهُ أخطب الناس وأعلمهم بكل فن وأورعهم(مؤنس، ١٩٨٧: ١٥٧) .

وخلال حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) أصبح المذهب الظاهري يتمتع بشيء من الحرية حتى صار أتباعه يتجاهرون بظاهريتهم بعد أن كانوا يحاولون اخفائها بسبب عزوف الناس عنهم ومحاربتهم من قبل المذهب المالكي الذي كان سائد آنذاك إلا أن قرب القاضي المنذر بن سعيد البلوطي من الخليفة الناصر ومنصبه قاضي القضاة قد أتاح لهُ الفرص من أجل رفع شأن المذهب وبروز المذهب بشكل أفضل عن سابقته لاسيما بعد الحادثة الشهيرة للقاضي البلوطي مع سفراء قسطنطين السابع في قصر الزهراء سنة (٣٣٨هـ/ ٩٤٩م) في بلاط الخليفة الناصر،

بعد أن رأى أبو علي القالي: إسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هارون بن عيسى بن محمد مولى عبد الملك بن مروان كان امامًا عارفًا بعلم اللغة العربية متقدمًا فيها متقنًا لها، دخل العراق في بغداد سنة ٣٢٨هـ ورجع للأندلس وتوفي فيها سنة (٣٥٦هـ) أيام الأمير الحكم المنتصر (٣٥٠-٣٦٦هـ). (الحموي، ١٩٧٧: ٧٢٩-٧٣١) الذي ندبه الناصر للترحيب بضيوفه لكنهُ تلعثم وسكت بعد أن القى التحية بسبب هيبة الضيوف والحضور الكبير فقام البلوطي وأكمل التحية وافتتح الترحيب بخطبة ارتجالية بليغة أدهشت الحاضرين فتعجب الناصر من بلاغته وحسن تصرفه(الحميدي، ١٩٦٦: ٥٥٥-٥٥٦) (مؤنس، ١٩٨٧: ٨٠) .

ومن ذلك الحين أصبح القاضي المنذر الرجل المقرب إلى الناصر وقد أتقن المنذر فن إدارة المنصب الذي أخذ يعرف كيف يستفيد من كل مناسبة لكي يزداد رفعة عند الخليفة، وذكر المؤرخون أن مكانة البلوطي هذه جاءت بفضل خطاباته فقط إلا أن ابن الفرضي قال أنهُ كان يتمتع بذكاء كبير ومعرفة بصيرًا بالجدل منحرفًا إلى مذاهب أصحاب الكلام لهجًا بالاحتجاج(ابن الفرضي، ١٩٦٦: ١٤٣) (مؤنس، ١٩٨٧: ٨٠-٨١) .

وقد ضعف صوت الظاهرية بعد المنذر بن سعيد وتوقف انتشارها أيام المنصور بن أبي عامر: محمد بن عبد الله بن أبي عامر محمد بن الوليد المعافري المكنى أبو حفص كان قوي الشخصية شجاعًا ناضج المعرفة متسع الأفاق تولى عدة وظائف مثل صاحب الشرطة الوسطى في قرطبة وتولى خطة المواريث ثم ناظرًا على الحشم الخاص بالحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ) ثم أصبح حاجب الخليفة هشام المؤيد حتى استأثر بالسلطة وأصبحت امور الدولة بيده ولم يبقى لهشام المؤيد سوى الاسم توفي سنة (٣٩٢/ ١٠٠١م) (الحميدي، ١٩٦٦: ٦٦) (الكندي، ١٩٩٦: ٣١٧) (مجهول، ٢٠٠٥: ٩٣) (المشهداني، ٢٠٢٢: ١٧١)

حتى نجح الفقهاء المخالفين للمذهب الظاهري في التأثير على الحاجب المنصور وجعلوه يأمر باستخراج الكثير من الكتب في النحو والاخبار والفقه والحديث وغير ذلك وأمر بإحراقها وافسادها وطرح بعضها في آبار القصر وهَّيل التراب والحجارة عليها(الأندلسي، ١٩١٢: ٦٦-٦٧) (أبو عبية، ٢٠٠٤: ٥٦٠) .

ولم تكد تنتهي أيام المنصور بن أبي عامر حتى ظهر المذهب الظاهري من جديد وعاد قويًا مع ظهور ابن حزم القرطبي (٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) الحميدي، ١٩٦٦: ٤٨٩) (ابن بشكول، ٢٠٠٨: ٤١٥) (الذهبي، ١٣٣٢هـ: ١٨٧) (اليافعي، ١٩٩٧: ٦١) (العسقلاني، ١٩٧١: ١٩٨) احد أبرز رجالات المذهب الظاهري الذي دافع عن المذهب بقوة واستمر عليه حتى أخر أيام عمره واستخدم كل ما يملك من حوار وموهبة وعلم ومنطق وحجة وجاء بتأليف الكتب والمصنفات ليدفع عنهُ تهجم فقهاء المالكية وبقية المذاهب الأخرى ويطول بنا الحديث إذا تحدثنا عن مكانته العلمية وذكر مصنفاته التي بلغت كما يذكرها الذهبي (أربعمائة مجلد) (الذهبي، ١٣٣٢هـ: ١٨٧) وهذه المؤلفات تُعتبر أكبر وثيقة مفصلة للحياة الفكرية الثقافية والعقائدية في بلاد الأندلس خلال القرون الثلاثة الرابع والخامس والسادس الهجري(ابو عبية، ٢٠٠٤: ٧٦٧) (عويس، ١٩٨٨: ١١٨) .

برع أبن حزم بعلم الفقه وأصوله وقد تدرج من المذهب المالكي الذي كان السائد في الأندلس إلى دراسة المذهب الشافعي ثم انتهى به المطاف إلى المذهب الظاهري، لكنه لم يكّن كبقية التابعين وإنما أتخذ منهجية خاصة به حتى أنهُ خالف داوود الظاهري في الكثير من المسائل الأساسية، فكانت لهُ نظرته الخاصة وطريقته التي جعلت الكثير يطلقون على طريقته أو اجتهاده الفقهي بالمذهب الحزمي أو الحزمية(ابو عبية، ٢٠٠٤: ٧٦٧-٧٦٨) (عويس، ١٩٨٨: ٨٩) .

وأهم كتاب لأبن حزم أظهر فيه ظاهريتهُ ومعالم منهجه هو كتاب "المحلى" وهو موسوعة فقهية أثنى عليها الفقهاء حتى ذكره الذهبي "ما رأيت في كتب الاسلام في العلم مثل المحلى لأبن الحزم" وأضاف الذهبي كتابين أخرين هما

"التمهيد" لأبن عبد البر القرطبي وهو من أصدقاء ابن حزم، "والسنن الكبرى" للبيهقي، وقد حمل كتاب المحلى مذهب ابن حزم بين دفتيه، مقارنًا إياه بالمذاهب الاخرى، واستغرق سائر أبواب الفقه وأصوله بدءًا من باب التوحيد والايمان إلى أن يفرغ من سائر أبواب العبادات والمعاملات وغيرها، وتظهر جهود ابن حزم في الكتاب الذي تبلغ عدد صفاحاته (٧٠٥٠) صفحة ويقع في ثلاثة عشر جزءًا(الذهبي، ١٣٣٢هـ: ١٩٣) (ابو عبية، ٢٠٠٤: ٧٦٨) (عويس، ١٩٨٨: ٩٤) .

فضلًا عن مصنفات أخرى في الفقه غير كتاب المحلى مثل كتاب "الإيصال إلى فحم كتاب الخصال" يتكون من خمسة عشر الف ورقة قال عنها الذهبي "أورد فيه أقوال الصحابة فمن بعدهم والحجة على كل قول" وهذا الكتاب هو شرح لكتابه "الخصال الجامعة لحمل شرائع الاسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والأجماع" يتكون من أربعين مجلدًا، وكتاب "التلخيص والتخليص" في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص عليها في الكتاب ولا الحديث وكتاب التصفح في الفقه والاملاء في شرح الموطأ يتكون من ألف ورقة وكتاب "ما أنفرد به مالك وأبو حنيفة والشافعي" وكتاب "در القواعد في فقه الظاهرية" تكون من ألف ورقة وكتاب "اختلاف الفقهاء الخمسة" وكتاب "ما وقع بين الظاهرية وأصحاب القياس"(الذهبي، ١٣٣٢هـ: ١٩٣-١٩٥) (الحميدي، ١٩٦٦: ٤٨٩) (ابو عبية، ٢٠٠٤: ٧٦٨-٧٦٩) .

اشتد العداء بين ابن حزم وفقهاء عصره لاسيما فقهاء المالكية الذين كفروه وعارضوه وحذروا الناس منه حتى طاردوه من بلد إلى بلد، فكتب أبن بسام على لسان المؤرخ ابن حيان بقوله "فتمالوا على بغضه وردوا أقواله وأجمعوا على تضليلهِ وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنتهِ ونهوا عوامهم من الدنوا منهُ والأخذ عنهُ فطفق الملوك يقصونهُ عن قربهم ويسيرونه عن بلادهم إلى أن انتهوا به إلى منقطع أثره بتربة بلده من بادية لبلة"(ابن بسام، ١٩٩٦: ١٦٧-١٨٠) .

ويرجع الذهبي سبب عداء الفقهاء لأبن حزم بقوله "لفرط ظاهريته" وأنهُ شديد في ردوده على مخالفيه لذلك نفرت عنهُ القلوب (الذهبي، ١٣٣٢هـ: ١٨٦) .

وقد رد على ابن حزم بعض فقهاء المالكية أولهما أبو الوليد الباجي: ليمان بن خلف الباجي كان في المشرق لمدة ثلاث عشر سنة ثم جاء إلى الأندلس وولي القضاء في عدة مواقع (النباهي، ١٩٨٣: ٩٥) (٤٧٤هـ/ ١٠٨١م) إذ كانت بينهما مجادلات ومناظرات قال ابن فرحون "أن أبا الوليد لما ورد الأندلس ووجد فيها أبن حزم ولم يكن في الأندلس من يشتغل بعلمه فصيرت ألسنة فقهائها على مجادلته وأتبعهُ جماعة على رأيه، فلما وصل أبو الوليد تكلم عن ذلك فرحل إليه وناظره"(ابن فرحون، د.ت: ٣٨٠) (بالنثيا، د.ت: ٢١٥) (عويس، ١٩٨٨: ٧٣) (ابو عبية، ٢٠٠٤: ٧٧٠) .

أما الفقيه الثاني فهو أبو بكر العربي (٤٥٣هـ/ ١١٤٨م) الذي نقد فقهاء الظاهرية ورد على أبن حزم في كتابه (العواصم من القواصم) ذكر فيه كلام عن الظاهرية بقوله "هي أمة سخيفة، تسورت على مرتبة ليست لها وتكلمت بكلام لم تفهمه(الذهبي، ١٣٣٢هـ: ١٨٨) ، وأردف قائلًا "وقد جاءني رجل بجزء لأبن حزم سماه نكت الإسلام" فجردت عليه (نواهي) وجاءني أخر برسالة في الاعتقاد فنقضتها برسالة الغرة(الذهبي، ١٣٣٢هـ: ١٨٨) (ابو عبية، ٢٠٠٤: ٧٧٠) .

وكان لأبن عبد البر القرطبي (٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) ردًا على أبن حزم في الكتاب المسمى (بالاستذكار) إلا أن أبن حزم رد عليه بالثناء في رسالته عن فضل الأندلس واعتبره من مظاهرها العليا(عويس، ١٩٨٨: ٧٨) ، وردًا على كتاب أبو بكر العربي الذي نقد فيه أبن حزم صنف أحد أسباط ابن حزم والمسمى أحمد بن محمد بن حزم: أحمد بن محمد بن حزم الأشبيلي المكنى أبو عمر من ذرية بني حزم، كان ماهرًا في علوم اللسان، اديبًا محققًا في العربية سريع البديهة في نظم الشعر، له تصانيف مثل رسالة الصئول وكتاب الزوائغ والدوامغ (السيوطي، د.ت: ٣٦٤-٣٦٥) كتابًا سماه "الزوائغ والدوامغ" تابع فيه أبا بكر في كتابه الأخر المسمى "الدواهي والنواهي"(السيوطي، د.ت: ٣٦٤-٣٦٥) (ابو عبية، ٢٠٠٤: ٧٧٠) .

وبقي الحال على ذلك إلى أن جاء محمد بن تومرت داعية الموحدين في بداية القرن السادس الهجري فأمر بالأخذ بأحكام القرآن الكريم والسنة النبوية والسير على نهج المذهب الظاهري، ثم جاء يعقوب بن يوسف فأعلن المذهب الظاهري هو الرسمي للدولة وأحرق كتب المالكية وكان أبن حزم موضع تقدير في دولة الموحدين، وبانقضاء الموحدين دُرسّ المذهب الظاهري وعن ذلك قال أبن خلدون "ثم دُرسّ مذهب اهل الظاهر بدروس أئمته وأفكار الجمهور على متحليه ولم يبق إلا في الكتب"(ابن خلدون، د.ت: ٤٤٦) (ابو عيد، ٢٠١٧: ١٥٧) (المشايخي، ٢٠١٩: ٩٦) .

ولعل من أسباب نهاية المذهب الظاهري وعدم انتشاره بصورة واسعة هو آراء الفقيه داوود الظاهري التي كانت تتعارض كثيرًا مع بقية المذاهب الأخرى والتي كانت سائدة بشكل أوسع من المذهب الظاهري لاسيما المذهب المالكي في الأندلس فالظاهري كان ينكر القياس ويقتصر في أخذ الأحكام من الكتاب الكريم والسنة النبوية وأجماع الصحابة وهذا الأمر يخالف اصول الفقه لدى الجمهور مما أدى لمعارضته فقهاء العصر من العلماء والقضاة وهذا الأمر أدى بدوره إلى نفور عامة الناس وابتعادهم عن الظاهرية، فضلًا عن ذلك فإن المذهب الظاهري منع التقليد منعًا كليًا فلا يمكن لأحد أن يُقلد بل عليه أن يجتهد وأن لم يستطع الاجتهاد سأل غيره وأن لا يقبل من السائل كلامه إلا إذا جاء لهُ بدليل من القرآن والسنة وأجماع الصحابة وهذا الأمر جعل الكثير من الناس تجرأ على أخذ الأحكام من القرآن والسنة بأنفسهم دون الرجوع إلى احد، ومن الأسباب الأخرى هو قول داوود الظاهري بخلق القرآن كما نقل على لسان أحمد بن حنبل عندما طلب داوود الظاهري اللقاء به فأمتنع أبن حنبل بقوله "أنهُ يزعم أن القرآن محدث فلا يقربني"(السبكي، د.ت: ٤٧) (الذهبي، ١٣٣٢هـ: ١٣٧) .

ومن الآراء الفقهية التي جعلت الناس تعزف عن الظاهرية هو قولهم بجواز مس القرآن وقراءته للمجنب والحائض، وهكذا اجتمعت العديد من الأسباب جعلت المذهب الظاهري يندثر لولا أبن حزم الذي دونه في كتبهُ ومصنفاتهُ لكان قد انتهى إلى الأبد(ابو عيد، ٢٠١٧: ١٥٥) (عويس، ١٩٨٨: ١١٨) (ابو عبية، ٢٠٠٤: ٧٧١) .

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع "المذهب الظاهري في الأندلس" تبين لنا ما يأتي:

١- مؤسس المذهب داوود بن علي الظاهري وقد سمي بهذا الاسم لتمسكهم الدقيق بظاهر النصوص من كتاب الله تعالى والسنة النبوية.

٢- عمل داوود الظاهري على نشر المذهب من خلال عقده لمجالس المناظرات والتدريس والفتوى وكان يدعو إلى أبطال القياس الذي كان يعمل به بقية المذاهب الاسلامية كالمذهب المالكي والحنفي.

٣- انتقل المذهب الظاهري من المشرق إلى الأندلس في منتصف القرن الثالث الهجري أيام حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن (١٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) عن طريق الرحلات العلمية.

٤- أول من أدخل المذهب الظاهري إلى الأندلس هو عبدالله بن محمد بن قاسم القرطبي المكنى أبو محمد (ت٢٧٢هـ/ ٨٨٥م).

٥- لم ينتشر المذهب الظاهري في الأندلس بشكل كبير ولم يأخذ حيزًا واسعًا من الحياة العامة وذلك بسبب سيطرة المذهب المالكي إذ كان مذهب الدولة الرسمي.

٦- نشط المذهب الظاهري أيام القاضي منذر بن سعيد البلوطي وخاصة في حكم الخليفة عبد الرحمن الثالث (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م).

٧- ضعف المذهب الظاهري بعد وفاة القاضي منذر بن سعيد البلوطي لاسيما في أيام المنصور بن أبي عامر (٣٧١-٣٩٢هـ) حتى نجح فقهاء المذاهب الأخرى من التأثير على الحاجب المنصور وأمر باستخراج الكثير من الكتب الظاهرية وحرقها.

٨- عاد المذهب الظاهري إلى الساحة بقوة أيام الفقيه أبن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ) الذي دافع عن المذهب بقوة واستمر عليه حتى اخر ايام عمره، ثم اصبح بعد ذلك المذهب الظاهري أيام حكم الموحدين دين الدولة الرسمي في القرن السادس الهجري لاسيما أيام ولاية يعقوب بن يوسف ثم انتهى المذهب بانتهاء حكم الموحدين.

٩- من أسباب نهاية المذهب الظاهري آراء مؤسس المذهب داوود الظاهري والتي كانت تتعارض مع بقية المذاهب الأخرى، فضلًا عن أنهُ منع التقليد منعًا كليًا فلا يمكن لأحد أن يقلد بل عليه أن يجتهد وهذا الأمر جعل الكثير من الناس يتجرأ على أخذ الاحكام من القرآن والسنة بأنفسهم، وكذلك قول داوود الظاهري بخلق القرآن وجواز مس القرآن وقراءته للمجنب والحائض مما جعل الكثير من الناس يتخلى عن المذهب.

المصادر

١. أبن الفرضي، ابي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي (ت ٤٠٣ هـ/ ١٠١٣م)، تأريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تح، السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي للطبع، ط٢،(بيروت – ١٩٨٨م).

٢. ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن اسحاق بن محمد الوراق(ت٤٣٨ هـ/ ١٠٤٦ م).، الفهرست ، تح، رضا تجدد ، د – ت .

٣. ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد الكندي(ت ٧٤٩ هـ)، تأريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، ط ١(بيروت– ١٩٩٦ م).

٤. ابن بسام ، ابي الحسن الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧م)، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، دار الثقافة(بيروت– ١٩٩٧م).

٥. ابن بشكوال ، ابو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨ هـ/ ١١٨٣م)، كتاب الصلة ، قسمان ، تحقيق ، شريف ابو العلا العدوي ، مكتبة الثقافة الدينية، ط١(القاهرة – ٢٠٠٨م).

٦. ابن حزم ، ابو محمد علي لن احمد(٤٥٦ هـ / ١٠٦٤م)، طوق الحمامة ، تح، احسان عباس، المؤسسة الدينية للدراسات والنشر ، ط٢ (بيروت – ١٩٨٧م).

٧. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م)، مقدمة ابن خلدون، ط٥، دار الكتاب العربي، بيروت.

٨. أبن خلكان، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تح، إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٩٤م).

٩. ابن صاعد ، القاضي ابي القاسم صاعد بن احمد الأندلسي(ت ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠ م)، طبقات الأمم، تح، لويس شنجو ، المطبعة الكاثوليكية (بيروت – ١٩١٢م).

١٠. ابن فرحون برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري المدني (ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م).

أ– الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب ، دار الكتاب العلمية(بيروت– د . ت).

ب– ابن فرحون، طبعة اخرى ، مجلدين ، مطبعة دار النصر، دار التراث للطبع والنشر ، تح، محمد الاحمدي ، ١٩٧٢م .

١١. ابو زهره ، محمد، تأريخ المذاهب الاسلامية، دار الفكر العربي ،(القاهرة– ١٩٩٦م).

١٢. ابو عبية ، طه عبد المقصود عبد الحميد، الحضارة الإسلامية(دراسة في تاريخ العلوم الاسلامية) ، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت– ٢٠٠٤م).

١٣. ابو عيد ، عارف خليل، المذهب الظاهري(نشأته وفقهه) دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط١،(عمان – ٢٠١٧ م).

١٤. أسد حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الاربعة ، دار التعارف للمطبوعات ، ط٣، (بيروت – ٢٠١٠م).

١٥. بالنثيا ، انخيل جنثالث، تأريخ الفكر الأندلسي، نقله حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية– القاهرة– د .ت.

١٦. البغدادي، أبو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ/١٠٧٠ م)، تاريخ بغداد: تح، بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الاسلامي(١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م) .

١٧. بو عقادة، عبد القادر، المذاهب الفقهية المندثرة واثرها في التشريع الاسلامي في القرنين الثاني والثالث للهجرة(٨و٩ للميلاد) رسالة ماجستير جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،(١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣م).

١٨. حسان ، محمد حسان، ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي ، دار الفكر العربي (القاهرة– د ت).

١٩. الحموي، شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت الحموي الرومي (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت – ١٩٧٧م).

٢٠. الحميدي، ابي عبدالله محمد بن ابي النصر فتوح بن عبدالله الأزدي(ت ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥م) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ج١، المكتبة الأندلسية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.

٢١. الخشني، ابو عبد الله محمد بن الحارث(ت ٣٦١هـ/ ٩٧٢م)، قضاة قرطبة ،تح، ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري– اللبناني، ط٢ (١٤١٠ هـ / ١٩٨٩م).

٢٢. الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م)

أ– تذكرة الحفاظ، مجلس دائرة المعارف النظامية ، ط ٢، (حيدر اباد – الهند ١٣٣٢ هـ).

ب– سير إعلام النبلاء، تح، شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت(١٤٠١هـ/١٩٨١م).

جـ– تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تح ، عمر عبد السلام التدميري ، دار الكتاب العربي ،ط٢، بيروت (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)

٢٣. الزركلي ، خير الدين بن محمود، الإعلام، ط ١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢.

٢٤. السبكي، تاج الدين بن عبد الوهاب بن تقي الدين(ت ٧٧١ هـ/ ١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، المطبعة الحسنية المصرية ، د . ت.

٢٥. السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي(ت ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦م) الأنساب، ج٨، تح، محمد عوامة ، مكتبة ابن تيمية،(القاهرة د .ت).

٢٦. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح، محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية (بيروت – لبنان).

٢٧. الشيرازي، ابو اسحاق إبراهيم بن علي (ت ٤٧٦ هـ/ ١٠٨٣م)، طبقات الفقهاء: تح، إحسان عباس، ط١، دار الرائد العربي ، (بيروت – ١٩٧٠).

٢٨. الضبي ، احمد بن يحيى (ت ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٣م)، بغية الملتمس في تأريخ رجال اهل الأندلس، تح ، ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري–اللبناني، ط١، (١٤١٠ هـ / ١٩٨٩م).

٢٩. العسقلاني ، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨ م)، لسان الميزان، تح، دائرة المعارف النظامية، ط٢، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت – ١٩٧١م).

٣٠. عويس، عبد الحليم، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، الزهراء للإعلام العربي، ط ٢ (القاهرة – ١٩٨٨م).

٣١. النباهي، ابو الحسن بن عبدالله بن الحسن المالقي الأندلسي(ت ٧١١ هـ/ ١٣١١ م)، قضاة الأندلس المسمى (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح، لجنة احياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط ٥، (بيروت– ١٩٨٣م).

٣٢. محمود ، احمد بكير، المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب ، ط١، دار قتيبة (دمشق– ١٩٩٠م).

٣٣. المشايخي، زهراء جاسم محمد، الدعاية المذهبية والسياسية في بلاد الأندلس خلال عهدي الإمارة والخلافة من سنة (١٣٨ – ٤٢٢ هـ) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة واسط، كلية التربية (العراق – ٢٠١٩ م).

٣٤. المشهداني، أنيس محمد جاسم، موقف اهل الأندلس من انتشار المذهب الحنفي (دراسة تاريخية)، بحث منشور في مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية، المجلد الأول، العدد الثاني، حزيران ٢٠٢٢ م.

٣٥. المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (١٠٤١ هـ/١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، احسان عباس، دار صادر (بيروت – ١٩٨٨م).

٣٦. مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تح، عبد القادر بوباية ، ط١، الرباط – دار ابي رقراق للطباعة والنشر، ٢٠٠٥ م.

٣٧. مؤنس، حسين، شيوخ العصر في الأندلس، دار الرشاد ، ط٢(القاهرة – ١٩٩٧م).
٣٨. اليافعي، ابو محمد عفيف الدين عبدالله بن اسعد (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م)، مرآة الجنان وعبر اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تح، خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت– ١٩٩٧م).